Evolution of the Religious Thought in the Arab Societies in the Pre-Islamic Period

Dr. Nahla Abbar Lazem Al-Kinany
University of Basrah
College of Arts
E-mail: nahla.abbar@uobasrahedu.iq

Abstract:

This study focuses with the evidence of the roots of religious thought in the Arab societies pre-Islamic invitation. A reader of this civilization notes its maturity and evolution, and that it cannot be far from the heavenly messages, especially since there are important texts indicative of those messages, and those texts have not received adequate study. The task of this research is to provide a cognitive reading about the development of religious thought in Arab societies before the advent of Islam. As the study begins with specific facts and infers concrete evidence to highlight questions that are beginning to arise, it then seeks solutions that may reach them or turn them into a religious singer in order to develop a new technique for future research.

Key words: Religion, Monotheism, evolution of Religious Thought.

تطور الفكر الديني داخل مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام

م.د. نهلة عبار لازم الكناني
جامعة البصرة / كلية الآداب
E-mail: nahla.abbar@uobasrahedu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث الشواهد الدالة على جذور الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام، فقارئ هذه الحضارة يلحظ نضجها وتطورها، وأنها لا يمكن أن تكون بعيدة عن الرسالات السماوية، ولاسيما أن ثمة نصوصاً مهمة تدل على تلك الرسالات، وأن تلك النصوص لم تحظ بالدراسة الكافية.

ومهمة هذا البحث تقديم قراءة معرفية عن تطور الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام، إذ ينطلق البحث من حقائق بعينها ويستدل بالدلائل الواضحة ليبرز أسئلة آن الأوان إلى أن تبرز، ثم ينشد أجوبة قد يصل إليها أو يجعل منها منشداً ليرسم منهجاً جديداً لبحوث قادمة.

الكلمات المفتاحية: الدين ، التوحيد، تطور الفكر الديني.

المقدمـــــة :

إن الدين هو سمة أساسية ومتأصلة في مكنون الجنس البشري، ولأنها الطبيعة الفطرية التي منحها الله للناس منذ أن نزل سيدنا آدم عليه السلام إلى الأرض، فما من شك في أن موضوع الدين والشعور به على مر العصور قد اعتبر أحد الموضوعات التي حظيت باهتمام العديد من العلماء. ومع ذلك، فإن النظر إلى وجهات النظر الدينية المختلفة لبعض هؤلاء العلماء من ناحية وعدم الإيمان الديني من جانب الآخرين الذين اعتبروا الدين ليس إلا شيئاً طارئاً على حياة الإنسان، وليس متأصلاً في معتقداته، فنجد عند هذا الفريق هناك فكراً تصاعدياً حتى وصل الإنسان إلى ماهية الدين، أو بمعنى أدق التوحيد، فنرى أنهم بدأوا بعبادة الطبيعة، ثم التماثيل[١]، وصولاً للتوحيد [٢] .

وينطبق هذا الرأي على الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام هناك، حيث يرى بعض الباحثين إن الإنسان العربي القديم قد مرَّ بهذه المراحل المختلفة من تطور الفكر الديني حتى وصل أخيراً إلى نقطة التوحيد التي شهدناها والتي أسفرت عن حصد الإنسان العربي القديم للديانات التوحيدية[٣]، والتي نجد منها بعض الديانات السماوية، وبالتالي فإن الحديث عن الحياة الأبدية في مجتمعات الجزيرة العربية هو بداية للحديث عن حماة القوى المطيعة والوحدوية قبل التمكن من التحدث عن اتجاه التوحيد، وبدأ ظهور هذا الاتجاه في مطلع القرن الرابع من ميلاد السيد المسيح[٤].

ونأخذ بنظر الاعتبار أن هذه النظرة الأكاديمية البحتة نحو طبيعة الدين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، ليست إلا نظرية افتراضية، فنرى إن القرآن الكريم قد أكد أن الدين شيء متأصل في الطبيعة الإنسانية فكانت فطرة الإنسان الأولى هي التوحيد قبل كل شيء، فكان سيدنا آدم مسلماً موحداً الله، وبالتالي كل الأنبياء والمرسلين كانوا مسلمين موحدين الله. ولكن يجب أن نذكر أن أول دعوة للتوحيد كانت على يد سيدنا نوح عليه السلام، فكانت رسالته موجهة إعادة الناس إلى الله، والصراط المستقيم، فقد كان الناس مؤمنين موحدين الله عز وجل، ولكن جاء وقت حادوا عن طريق التوحيد، فجاء سيدنا نوح عليه السلام لاعادتهم للحق، وليبعدهم عن الضلال.

وتتمثل أهمية البحث العلمية في كونه يتناول موضوعاً مهماً يتعلق بتطور الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام ، وسوف تكون هذه الدراسة من أوائل الدراسات الأكاديمية التي تناولت تطور الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام. وقد اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي الذي أسهم بشكل كبير في معرفة مدى تأثير التفاعلات التي حدثت في الماضي، وذلك من خلال الأحداث التاريخية .

أما عن خطة البحث فقد اقتضت دراسة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول الدين تعريفه وماهيته وتضمن المبحث الثاني تطور الفكر الديني أما المبحث الثالث فتناول التوحيد والتعرف عليه في مجتمعات العرب.

المبحث الأول

الدين تعريفه وماهيته

أولاً : الدين لغة

عند النظر إلى المعاجم اللُغوية نرى أن كلمة الدين، لها الكثير من المعاني المختلفة في أصول اللغة، ولكنها تعود إلى معنى معين وهو " لزوم الانقياد"، وهذا هو المعنى الحرفي، ويمكننا الإشارة إلى معانٍ أخرى في المعاجم العربية ومنها (الإسلام، الورع، الملك، الإكراه، العبادة، الملة، السلطان، المعصية، التوحيد، السلطان، الجزاء، الاستعلاء، القهر....) [٥].

ونرجع وفرت هذه المرادفات إلى تعددية الاستخدام لهذا اللفظ العربي، حيث قد يأتي الفعل "دين" على صور عدة منها متعدياً بنفسه أو باللام أو بالباء، فإذا رُد للفعل المعتدي، فهو يعطي بعض المعاني خاصةً معنى (الحكم، المجازاة، القهر، الملك، الحبس....) (دانة دينًا)، وجاء قوله تعالى **(أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ)**[٦].

والمقصود بذلك هو أن الإنسان سوف يحاسب بعد موته، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:- الكيس من دان لنفسه وعمل لما بعد موته- [٧] ؛ ومعنى ذلك أن الإنسان العاقل هو من يقوم دائماً بمحاسبة نفسه وتقويمها، وهنا نجد أن معنى دان أي خضع، فنجد أن الدال والألف والنون هو الجذر الثلاثي، الذي انشق عنه الفعل دان، ويعني بذلك هو نوع من الانقياد.

وقد يأتي فعل (دين) متعدياً، ولكنه يكون متعدياً بالبلاد فيدل على معانٍ معينة، ومنها الديانة مثل دان هذا الرجل الإسلام، فهو رجل متدين، وهنا يكون معناها الاعتقاد أو المذهب [٨].

مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانت قريش ومن دان بدينهم) أي من اعتقد بمذهبهم [٩].

ونستنتج من ذلك كله أن هناك الكثير من المعاني اللُغوية حول كلمة الدين، ولكنها في جملتها تعود على الانقياد، وذلك لو أشيرت للعبد أو المتعبد، ولكنها تشير إلى الحكم والملك والسلطان، إذا أشيرت إلى المعبود، أو تكون هي الرابط بين العبد والمعبود، وهي الصلة الواصلة بين العبد وربه.

في اللغات الأوروبية، تشير كلمة دين إلى عدد من المعاني. والمعنى الأول: يعتبر هو الحالة الفردية التي يختبرها الشخص فيما يتعلق به مع الله، وهذا الوضع يشمل العواطف والمعتقدات والأعمال التي تتطلبها هذه العلاقة [١٠] .

المعنى الثاني: أن النظام الاجتماعي الذي يؤلف مجموعة من الناس الذين يؤمنون بإله واحد، وهم يشاركون في الطقوس التي تتطلبها عملية الإيمان (١١) .

ثانيًا/ الدين اصطلاحًا:-

نرى أن تحديد العلماء لمفهوم الدين اصطلاحياً قد كان في غاية الصعوبة في محاولتهم وضع تعريف موحد ودقيق للدين.

يقول جيمس فريزر : " لا يوجد موضوع في العالم اختلفت فيه الآراء مثلما اختلفت حول تحديد طبيعة الدين(١٢) .

وتكمن هذه الصعوبة في العديد من الأمور، أولا، الزوايا التي ينظر منها العلماء إلى الدين هي: هناك من يتعامل مع الدين من وجهة نظر علم الاجتماع أو علم النفس أو التاريخ أو الفلسفة أو حتى السياسة، ومن هنا جاءت تعريفاته المتعددة، وأصبح من الصعب وضع تعريف موحد ودقيق يتفق عليه جميع العلماء(١٣) .

ثانيا: زادت من صعوبة وضع تعريف للحقيقة المتعلقة بالدين وبكراهيته؛ بالإضافة إلى أن بعض معتنقي الديانات المختلفة يرون الفرق بين الأديان القديمة والأديان الحديثة في هذا الصدد، أو بين أتباع الديانات التوحيدية وغير الإلهية، فقد أصبح من الصعب تحديد جميع الأديان بشكل شامل وهي قد تختلف في هويتها وفلسفتها وعلاقتها مع أتباعها. إذ نجد أحيانا أن مغزى الدين يمكن أن يتغير في شخص واحد مع مراحل حياته وتغيرات في شخصيته. ولهذا من الصعب وضع تعريف مقبول عالميا للدين (١٤).

وفي رأي فريزر، الدين: هو البذخ نحو القوى العليا ويتزامن هذا التحديد مع وجود قوى تفوق قوي الإنسان تقريبا. مع تعريف الدين: "الإيمان بالقوى الخارقة للطبيعة التي تفوق قوتها قوى الطبيعة والإنسان، والتي تؤثر على حياة الكون، وتدير الطبيعة وتوجه الحياة البشرية (١٥) ، ولذلك نرى أن في التعريف – من الضروري الاعتراف بوجود قوى أعلى، لديها قوة أكبر من الإنسان، والنظر في أن هذه القوى تابعة لها وتسيطر عليها، وهي التي يجب أن تكون راضية لتسهيل حياة الإنسان (١٦) ، ومع ذلك، لا يفهم من هذا التعريف أنه يتجاوز حدود الحياة، حيث أن الدين، بإيمانه بقوى أعلى، لا علاقة له بالآخرة، وفكرة الآلهة التي يستند إليها هذا التعريف لا توجد في بعض الأديان، مثل الديانة البوذية(١٧).

والقرآن الكريم كان مؤكداً لذلك، إذ إن كلمة دين جاءت أيضاً لتعبر عن الديانات بشكل عام، فجاءت في تلك الآية الكريمة معبرة عن الديانات الوثنية، حيث قال الله تعالى (لكم دينكم ولي دين)(١٨) وقوله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ

وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) [١٩] ، فهنا كانت كلمة الدين معبرة عن الدين المسيحي واليهودي[٢٠].

نعني بذلك أن الدين: هو هذه التعاليم وأساطيرها وأساسها الأيديولوجي، التي كان يسترشد بها الرجل العربي القديم، سواء أكانت هذه التعاليم موضوعة، أم كانت وحدها هي التي وضعها بعض البشر الذين أدركوا أهمية طاعتها في أممهم، ويمكن تطبيق هذه المبادئ تحت مظلة إله معين (دين وضعي) أو عدة آلهة[٢١].

المبحث الثاني

تطور الفكر الديني في مجتمعات العرب

أولًا: تطور الفكر الديني

لقد عرَّف (أفلاطون) الإنسان بأنه اجتماعي بطبيعته، وإنا نستطيع تعريفه بأنه عبارة عن كائن ديني بطبعه أيضاً [٢٢]. فالحس الديني يعتبر حسًا فطريًا لدى الطبيعية البشرية بشكل عام، حيث نجد أن المؤرخ اليوناني بلوتارخ يقول: من الممكن أن نرى مدنًا بلا أسوار ولا ملوك، ولا ثروة، ولا آداب، ولا مسارح، ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا معبد ولا يمارس أهلها العبادة [٢٣]، ويقول أرنولد توني: "إن جوهر الدين ثابت ثبات جوهر الطبيعة البشرية ذاتها؛ فالدين في الحقيقة صفة ذاتية مميزة للطبيعة البشرية [٢٤].

ينقسم العلماء حول أصل الدين أو التوحيد أو تعدد الآلهة، كما يجادل البعض بأن الفكر الديني كان متورطًا في البداية ثم تطور إلى قمة الهرم التطوري للتوحيد[٢٥] .

ويرى الباحث أن هذا الرأي غير صحيح؛ أصل الدين هو التوحيد، إذ إن هذا الفكر التوحيدي لم يكن ذا طابع يتطور كما يقولون، لقد انتقلت التوحيدية إلى حقبة من التعقيد والتشابك، تميزت بفكرة إله واحد من ناحية، ووجود أعلى من ناحية أخرى، وقد أثرت هذه النظرة على العديد من الكتابات عن الدين بشكل عام، لذلك، وفي ضوء الكثير مما كتب عن الفكر الديني بين العرب قبل الإسلام، تستند هذه الكتابات إلى اعتراف – وإن كان ضمنيًا في كثير من الأحيان – بأن أصل عبادة العرب كان الوثنية، ومع مرور الوقت ومع اقتراب الإسلام، كان هناك اتجاه نحو التوحيد، وليس العكس[٢٦].

ويمكننا أن نرى هذا السيناريو بثلاثة طرق؛ أولا: أن نقول بصراحة، الفكر الديني بشكل عام، أو الفكر الديني للعرب قبل الإسلام، قد سقط على خط صاعد من تعدد الآلهة إلى التوحيد، يقول علي جواد: وتختلف نظرة الإنسان إلى الخالق والخلق باختلاف تطوره ونمو عقله، ولهذا نجد فكرة في الله أو الأله، التي تقابل كلمة Deus في اللاتينية وكلمة Theos في اليونانية وكلمة God في الإنجليزية، تختلف باختلاف الشعوب ودرجة تقدمها [٢٧] .

والشيء الثاني الذي نراه هو الإيمان بالتدريج نحو التوحيد: الحديث عن الحياة الدينية في التطور ، 'استخدام مصطلح' التطور ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية ؛ كلمة "التطور" يلتصق معناها بأن هذا الفكر قد انتقل من مرحلة بدائية حيث كانت تعبد قوى الطبيعة والوثنية إلى مرحلة متقدمة وناضجة التي ظهرت – أثناء التوحيد؛ وعلى حد تعبير العرب، "إن التطور هو الفترة، والحدود بين الأمرين، والجمع بين المراحل، والمراحل هي الدول المختلفة، والمراحل هي نفسها، والحدود هي نفسها"، مثل قوله تعالى (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) [٢٨] ، حيث ذكر المفسرون أن كلمة أطواراً هي عبارة عن جمع طور، وهي مراحل تكوين الإنسان [٢٩] ، كما جاء في لسان العرب، أن تطور الخلق كان نطفة من ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً.

والشيء الثالث الذي نراه هو هذا المفهوم للفكر الديني في العرب قبل الإسلام هو ترتيب الموضوع العلمي وقت كتابة هذا الموضوع، إذ تتحدث معظم الكتابات أولاً عن عبادة قوى الطبيعة، ثم الوثنية [٣٠] في مجتمعات العرب من حيث موطنها وأصنامها ومعابدها، ثم عن الأديان السماوية التي دخلت الجزيرة العربية قبل الإسلام[٣١].

كان دورها في إنشاء الحركة التوحيدية في مجتمعات العرب، كما رأينا في الكتابات، هو العامل الذي سهّل قبول الدعوة الإسلامية لاحقًا، لأن الأرض لدين التوحيد للإسلام كانت أيضاً مهيأة في الواقع. السؤال هو، ما مصدر هذه الفكرة لتطور الدين؟ من الممكن تحديد مصدرين لهذه الفكرة، الأول الذي أثر في معظم الكتابات الغربية، هو النظرية الداروينية، حيث توجد نظرية الأصل الطبيعي في نظرية التطور لداروين، التي تعبر عن تطور الشيء من حالة البساطة إلى حالة التعقيد الدائم (التطور الخطي) ووفقًا لهذه النظرية لم يتم إنشاء العقل البشري على الإطلاق ولكن أصله – الوصول إلى الدين – كان نتيجة لعملية التطور هذه، أو يطلق عليه إذن – كما يتخيلونه – التطور – ثورة في حياة الإنسان جاءت نتيجة استجابة الفكر الإنساني[٣٢] .

بعد أن تطورت ظروف معينة في زمان ومكان معينين، وبدأت كما يرونها في وقت مبكر من التطور البشري، كان البشر يعبدون جوانب الطبيعة، مثل الأشجار والحجر؛ رأى الإنسان هذه الأشياء على أنها تحمل الأرواح، مثل الأرواح البشرية، وهي عبادة معروفة في الفكر الديني بالحيوان، ومن ثم إلى عبادة الكواكب ومن ثم إلى الحياة الزراعية فهو خط طويل يعبر عن التوحيد[٣٣]، وذلك ما جاء به جميس فريزر في كتابه الغصن الذهبي.

أما المصدر الثاني فهو القرآن الكريم وذلك ما جاء في سورة الأنعام : (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [٣٤] .

يعتبر هؤلاء الكتاب أن هذه الآية هي علامة أكيدة على أن إبراهيم هو نفسه لم يكن أول الموحدين، لكنه كان عندما رأى كوكبًا، ثم غاب فعرف أنه ليس الله، ومن هنا جاءت فكرة التوحيد عند سيدنا إبراهيم،

فنرى أنه قد استمر إبراهيم في عبادة القمر، لكنه لم يستمر، ثم رأى أن الشمس إله، لكنه فوجئ بأنها كانت تغرب فتركها، وأيقن بعد ذلك أن هذا من صنع الله، وهكذا التوحيد عند الأنبياء(٣٥).

وهنا ندرك إنه إذا كان التوحيد صفة فردية كما يدعي البعض، ما كان اتخذ إبراهيم عليه السلام كل هذا العناء حتى يرشد قومه للتوحيد، كما قال الله تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} (٣٦). (٣٧)

إذا كان زعمهم حقا أن إبراهيم كان إلهاً، فهل سيكون من المنطقي أنه لن يعبد كل واحد من هذه الآلهة التي اختارها بهذه السرعة، لأننا نعلم أنه ابتعد عن الكوكب الذي اختاره عندما مات؟ الشيء نفسه يحدث للقمر والشمس، ويمكننا أن نسأل أنفسنا، إنها مسألة ساعات فقط السرعة التي كان إبراهيم قادرا على عبادة هذه الكواكب، كدليل على أنه كان يتحدث إلى عقول شعبه، ويخبرهم بحدودهم عندما يعبدونها، التي تظهر وتختفي.

كما جاء في التوراة أيضاً (١: ٥، ٢٦: ٤، ١٧-١٦: ٢، ٢٧: ١، سفر التكوين) لو كان هناك تدرج في العبادة من الشرك إلى التوحيد(٣٨) .

لأن التوحيد هو الفطرة التي فطر عليها الإنسان بشكل عام فقال الله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ} (٣٩).

وذلك أن الأصل في الدين هو التوحيد؛ فهذا العقاد – رحمه الله – يقول في كتاب الله : "ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته فليست أوائل العلم والصناعة بأرقي من أوائل الأديان والعبادات .. ونبيغي أن تكون محاولات الإنسان في سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات لأن حقيقة الكون الكبرى أشق مطالبًا، وأطول طريقا من حقيقة هذه الأشياء المتفرقة التي يعالجها العلم تارة والصناعة تارة أخرى" (٤٠).

ويقول العقاد في مكان آخر: "إلا أن المشاهدات التي أحصاها علماء المقابلة قد توافي كلها إلى نتيجة يجمعون عليها، وهي : أن الإيمان بالأرواح شائع في جميع الأمم البدائية، وأن الأمم التي تجاوزت هذا الطور إلى أطوار الحضارة وإقامة الدول لا تخلو من مظاهر العبادة الطبيعية أو عبادة الكواكب على الخصوص وفي طليعتها الشمس والقمر والسيارات المعروفة، وأن عبادة الأسلاف تخلل هذه الأطوار المتابعة على أنماط تناسب كل طور منها بحسب نصيبه من العلم والمدنية، أما التوحيد فهو نهاية تلك الأطوار كافة في جميع الحضارات الكبرى (٤١) .

وهو يعتقد أن أقدم الأديان عبادة الأرواح عندما (animisim) العقيدة الحيوية، وعلم الإنسان في مرحلة ما من حياته أن الروح يمكن أن تغادر الجسم وتذهب بعيدًا، وهذا التشريد الذي يسبب إبادة الجسم جعل الإنسان يشعر بأن هذه الروح قادرة على الخير والشر، وبالتالي قرب الإنسان من هذه الروح من خلال التضحيات، والقرابين وطقوس مختلفة لمصلحته ولبقاء النقاء في الروح البشرية [٤٢].

يدعي أصحاب العقيدة الطبيعية أن العبادة الأولى التي يعرفها الإنسان هي عبادة الظواهر الطبيعية المختلفة المحيطة بالإنسان في حياته اليومية [٤٣]، وتعتقد هذه المجموعة أنه لا يمكن شفاء الدين من دون تجربة حسية يستشعرها الإنسان من خلال حواسه، أما بالنسبة لمن قال عقيدة الطوطم، فإن هذه العبادة هي أول عبادة يمارسها الإنسان، حيث ترتبط هذه العبادة بالقبيلة التي تعتبر النظام الأول اجتماعياً .

وذكر العقاد المذهب الطبيعي التطوري ؛حيث يقول في كتابه " إبراهيم": وقد ارتفع الإنسان كله حين رفع عبادته من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة، وحين أصبحت حاجته إلى المعبود شيئاً أرفع من مطالب الأبدان وضرورات الغرائز والطباع [٤٤]، بالإضافة إلى قوله تحت عنوان التوحيد: والتوحيد كذلك توحيدان : توحيد الإيمان بإله أحد خلق الأحياء وخلق معهم أرباب آخرين ، وتوحيد الإيمان بإله واحد لا إله غيره .

ولم تعرف أمة قديمة ترقت إلى الإيمان بالوحدانية على هذا المعني غير الأمة المصرية [٤٥] ، فعبادة (أتون) التي دعا إليها أخناتون قبل ثلاثة وثلاثين قرناً كانت غاية التنزيه في عقيدة التوحيد كما عرفها الأقدمون[٤٦].

ويقول أيضاً: وما علمنا اليوم من مقابلات الأديان أن التوحيد جاء بعد تعديد الأرباب وتميز واحد منها، وأن أهل بابل خاصة كانوا يرون في قصة الخليقة أن الله الأكبر خلق الأرباب كما خلق سائر الموجودات الأحياء وغير الأحياء [٤٧].

ويمكن رؤية مثل هذا الرأي في آراء بعض الباحثين، مثل فيليب؛ في كتابه "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين": "يعتبر دين كنعان القديم وبقية العالم الراقي من الدرجة الأولى التي تقوم على عبادة الطاعة[٤٨]، وهنا نرى كيف ينظر فيليب إلى تطور الفكر الديني في شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وفي كلام مشابه يقول الناضوري عند حديثه عن "تطور الفكر الديني الإنساني أثناء العصر التاريخي في منطقة الشرق الأدني القديم" : وقد وصل الإنسان في تلك المنطقة إلى مدى بعيد في محاولة الاستقرار الفكري، وعمق في ذلك المجال بدرجة ملحوظة تصل إلى محاوله الاقتراب من الوصول إلى الوحدانية، ولكنه رغم كل ذلك انحرف عن الطريق السوي ودخل في متاهات فكرية غير متكاملة إلى أن جاء الإرشاد الرباني في الكتب المقدسة [٤٩] .

ثانيًا – نماذج لبعض الكتابات التي تؤمن بتطور الفكر الديني في مجتمعات العرب قبل مجيء الإسلام

مثل هذه النظرة التطورية للفكر الديني بشكل عام والفكر الديني في المنطقة أن البعض يعتقد أن الجزيرة العربية هي الدين الذي تأسست فيه هذه النظرية التطورية، تشتهر الجزيرة العربية بعبادة الأشياء المادية، مثل الأشجار والحجارة، ومن ثم عبادة الكواكب، وخاصة في الجزء الجنوبي منها(٥٠).

وهذا ينطبق تماماً على ما ذكره لطفي عبد الوهاب يحيى في كتابه العرب في العصور القديمة: حيث يرى المؤلف أنه كان هناك تطور في الفكر الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام ؛ فيقول : "والظاهرة التي نلاحظها على تطور العقائد الدينية في الجزيرة العربية هي أن المنطقة عرفت عدداً من مراحل التطور الديني في العصور السابقة على الإسلام (٥١)، ثم نجده : يتحدث عن هذا التطور في أربع مراحل متابعة . (ويقصد بها مظاهر الطبيعة).

١ – عبادة الأشياء المادية

٢ – عبادة الكواكب

٣ – عبادة الشمس

٤ – مرحلة التوحيد (٥٢)

ويرى أن المرحلة الأخيرة جاءت بتأثير من الديانتين التوحيديتين : اليهودية (٥٣) والنصرانية معًا (٥٤).

ويدل على استمرار التوحيد قول محمود عرفة محمود: "كان هناك طائفة من العرب، أحجمت عن الوثنية، والصابئة (٥٥) والمجوسية وغيرها من الديانات التي انتشرت في بلاد العرب واتخذت من عقيدة إبراهيم الخليل – عليه السلام – ديناً لها، وهو الدين الذي :يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، وقد عرف هؤلاء بالحنفاء لقوله تعالى {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} (٥٦).

قضوا أيامهم ولياليهم في التفكير في الكون الذي عاشوا فيه، وكان عليهم أن يفعلوا الأشياء نفسها التي اعتاد عليها العرب ونشأوا في مجتمعهم في ظلها، بما في ذلك شرب النبيذ، واللعب بالميسر، إنهم حنفاء، مثل المؤمنين الآخرين، الذين عبدوا الله عن حق منذ بداية الخليقة، لذلك كانوا مشركين ولكن تابعين لدين إبراهيم (٥٧).

المبحث الثالث

"التوحيد"monotheism

ذكر الله تعالى في قرآنه الكريم، أن طبيعة البشر هي الدين والتوحيد، ففطر الإنسان على التوحيد بالله عز وجل ويقول الله تعالى؛ {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٥٨)، وإذا عدنا إلى التوراة أيضاً فسنجد في سفر

التكوين ما يدل على ذلك أيضاً ،בְּאשִׁית، בראלהִים אַת הַשׁמם את האָץ וְאָרֶץ ،הִיָה והו בה، ְׁשֶך עַל־ְׁני תָהוסם ؛ ְׁרוַ אָלהִים מָרֶת על־ְׁפני הַמָם

في الأرض خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض مشوشة وملعونة.

لذا أخذ (أبرام) (إبراهيم) إلى الأرض، ووصل إلى موقع (شكيم)، سهل مورة. كانت الأرض مأهولة من قبل الكنعانيين. وبدا أن الرب يخلص، وقال لله: "أعط هذه الأرض لذريتك"، فنبي أبرام مذبحاً للرب، انتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل، ونصب خيمته بين بيت إيل في الغرب ومن ناحية الشرق كانت عاي، وبنى هناك مذبحًا ثم ذهب أبرام جنوبا [٥٩].

والبحث الذي قام به بعض العلماء في التاريخ المقدمة الدراسات القديمة والسامية لهذه الحقيقة القرآنية تثبت أن أصل الدين يحمل على أن فكرة "العليا" هي فكرة أن الرجل (lang) هو التوحيد، كان على فانغ أن يكون لديه صانع وخالق لهذا الكون، وأن هذه القوة الإبداعية فوق المستوى البشري، وتوجد بشكل طبيعي مع كل رجل، لذلك لدينا قبائل بدائية، تؤمن بالخلق، بالإيمان هم سيصلون إلى سيد الكون، وهذا العنصر من الإيمان يظهر في هذا المجتمع البدائي [٦٠].

بحث شوردر عن العديد من القبائل البدائية ووجدها تؤمن بالله، خالق الكون، وهي النتيجة نفسها التي وجدها كرويز خلال بحثه عن القبائل الهندية في كاليفورنيا؛ لقد أسقط فكرة إله الخير، سام، بين يديه كل القوة وكل المصائر واضحة جداً.

وجد شمت هذه الفكرة بين الأقزام الأفارقة، وهم أقدم الأجناس البشرية، كما وجد فكرة التوحيد موجودة عند الكثير من القبائل الزنجية [٦١].

ويذكر الباحث أن التوحيد في ذاته كان في مكة [٦٢]، ولكنه قد تعرض للتحريف مع مرور الوقت، وهذا ما تثبته بعض النقوش الموجودة في جنوب الجزيرة العربية، حيث يعبر عن لفظ الآلهة ب(رحمنن) وهو إله سيدنا إبراهيم عليه السلام [٦٣].

وقال الله تعالى {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ(٤٢)}[٦٤]. ويقول الله تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)} [٦٥] ، وقال الله تعالى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) [٦٦] .

التيار التوحيدي في مجتمعات العرب:

ربما يكون من أهم الأخطاء المنهجية التي ارتكبها كثير من الكتاب المسلمين، تصوير التاريخ العربي القديم على أنه حقبة لا مثيل لها من الجهل والثقل والفساد، ويمكن فهم الدافع وراء ذلك على أنه رغبة في

تمجيد الإسلام كدين، لقد وصلوا إلى منطقة مظلمة من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والنفسية، لكنهم أساءوا إلى الإسلام من دون وعي، إن مثل هذه الصور القاتمة للتاريخ العربي القديم وخلق نوع من القطيعة بينه وبين الإسلام دفعت العديد من العلماء – وبصفة خاصة الغربيين – إلى الإيحاء بأن وجه هذا المجتمع العربي القديم لم يحمل أي أمل جميل يوحي بإمكانية ظهور جديد لنبي يخرج من رحم هذا المجتمع العربي ليحمل رسالة الإسلام الخالدة للأمة كلها[٦٧] .

وعلى هذا النحو كان النظام الاجتماعي في المجتمع العربي قبل الإسلام، وهذا ساعد الدعوة الإسلامية لتنفيذ العدل في بلاد المسلمين[٦٨] ، ومنها تم الاتفاق على رد المعتدي ونصرة المظلوم، وقد ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : لقد شهدت في بيت عبدالله بن جدعان حلف الفضول، ما لو دعيت إليه اليوم لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم[٦٩].

وعلى الرغم من انتشار الوثنية [٧٠]، فمن الإنصاف أن نبدأ – عند الحديث عن الحياة الدينية في الجزيرة العربية – بالتوحيد، لأن التوحيد هو أصل الدين منذ أن خلق الله الإنسان، وهي الحالة الطبيعية التي أنعم الله على الناس بها، ولأن تأخير الحديث عن التوحيد وبداية الوثنية فيه مكرس لنظرية تطور الفكر الديني، من المشرك إلى التوحيد، وهي حقيقة تعلمناها سابقاً، وقد شهدت الجزيرة العربية أيضًا العديد من دعوات التوحيد من خلال إبراهيم ومن نسل إبراهيم، إذ يمكن ملاحظة ذلك في دعوة إبراهيم وإسماعيل أثناء بناء الكعبة المشرفة [٧١] .

قال الله تعالى {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[٧٢] .

كما شهدت الجزيرة العربية العديد من الدعوات التي تلت دعوة سيدنا إبراهيم للتوحيد، على الرغم من صعوبة تحديد تواريخ هذه الدعوات التوحيدية، إلا أنه تم تقديمها بلا شك من خلال التوحيد في القرن الرابع الميلادي، إذ يعتبر مهران أن ثمود من الألفية الأولى قبل الميلاد، وشعيب في القرن الثالث عشر قبل الميلاد [٧٣] .

وهنا نتعرف على أن قوم قريش كانوا يؤمنوا بإله واحد {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) [٧٤] .

وهذا يؤيده رأي ابن القيم الجوزية الذي قال في محضر مقارنته بين المشركين وبين المجوس: "ثم إن كفر عبدة الأوثان ليس أغلظ من كفر المجوس، وأي فرق بين عبدة الأوثان والنيران بل كفر المجوس أغلظ، وعبدة الأوثان كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأنه لا خل الاله، وأنه ام يعبدون الهتهم لتقربهم إلى الله، سبحانه وتعالى، ولم يكونوا يقون صانعين للعالم، أحدهما: خالق للخير، والآخر للشر، كما تقوله المجوس، ولم يكونوا يستحلون نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وكانوا على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام [٧٥] .

يقول جواد على : "وإنما الذي أنكره الإسلام عليهم وحاربهم من أجله وسفه أحلامهم عليه، هو تقربهم للأصنام والأوثان، وتقديسهم لها تقديسا جعلها في حكم الشركاء والشفعاء ومرتبة الألوهية، والإسلام لا يعترف بهذه الأشياء، وهو ينكرها، ومن هنا حاربته قريش ومن كان على هذه العقيدة من حلفائها، ومن القبائل التي كانت ترى رأيها، فهنا كان موطن الخلاف لا عقيدة الإيمان [٧٦].

ويجب معرفة العرب الجاهليين بهذا الإله، حيث نجد أيضًا بعض الجاهليين قبل الإسلام كانوا يسمون أبناءهم إلى هذا الإله، وتلك الأسماء المرتبطة بالعبودية حيث سموا أبناءهم عبد الرحمن، كما ورد ذكر هذا الإله في تلبية ،قيس عيلان : "لبيك اللهم لبيك، لبيك أنت الرحمن، أتتك قيس عيلان راجلها والركبان " [٧٧]، ويرى بعض العلماء أن الإيمان بهذا الإله إيمان عربي بحت، وليس له أي صلة بالدين اليهودي، ونذكر من ذلك أن الفكر التوحيدي السابق، هو ما انطلق منه الدين الحنيفي[٧٨]، قال الله تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [٧٩] .

ونذكر من ذلك أن الحنيفة قد ظهرت مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد استمر أنبياء إبراهيم حتى ظهور الإسلام، المهم هنا ليس دراسة الحنيفة بالتفصيل، بل التأكيد على أنها ستستمر حتى ظهور الإسلام[٨٠] ، هذا يحول دون التطور التدريجي للفكر الديني الجاهلي، الحنفية هم العرب الذين بقوا في دين إبراهيم، عليه السلام، ولم يكونوا مرتبطين بإله آخر، لم يعتنقوا لا اليهودية [٨١] ولا المسيحية [٨٢] ، مثلما بنوا الوثنية.

يقول الشهرستاني : "ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتنظر النور النبَي، وكانت لهم شرائع ، منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وأمية بن أبى الصلت، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب العدواني الذي حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وممن حرمها في الجاهلية قيس بن عاصم، وصفوان بن أمية الكناني" [٨٣] .

قال: "ومن الموحدين المقرين بالبعث [٨٤] زهير بن أبى سلمى الشاعر [٨٥] ، ويقول ابن الكلبي : "ومن بقي من العرب على بقية من دين إسماعيل معد. وربيعة ومضر" مثل هذا القول يدل دلالة واضحة على استمرار التيار التوحيدي دون انقطاع حتى مجيء الإسلام [٨٦].

لم يقتصر الوجود الحنفي على مكة [٨٧] ، بل انتشر منها إلى معظم أرجاء الجزيرة العربية؛ انتشروا من اليمن ونجران [٨٨] مرورا بالمثلث والمدينة المنورة – مكة – الطائف ، وانتهوا بحدود الشام في الشمال الغربي، من اليمامة في الشمال الشرقي مرورا بالبحرين وعمان وحضرموت وانتهى في اليمن مرة أخرى[٨٩].

والجدير بالذكر أن هؤلاء الحنفاء، كانوا على حق من طبيعة الله، وكانت فطرتهم الإيمانية صحيحة، حيث "رفضوا عبادة الأصنام [٩٠]، وجميع الطقوس المتعلقة بها، وتمسكوا بالديانة الإبراهيمية الصحيحة، وتركوا عبادة شعبهم لغير عبادة الله وحده تاريخياً، لم يكونوا معنيين بأنفسهم، لكنهم تصرفوا لإحداث التأثير

الضروري وإعادة الناس إلى مكانهم الصحيح؛ لقد أنقذنا تاريخ أسماء الحنفاء هؤلاء وكان منهم، زيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أنس، وخالد بن سنان، وهم حنفاء لم يشربوا الخمر أبدًا، أو يمارسوا أي شعائر من شعائر الجاهلية القديمة

الخاتمة :

أظهرت الدراسة الآتي :

١- حاجة الإنسان للدين ضرورية، بل هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

٢- هناك خلل في تناول الفكر الديني بشكل عام والمتمثل على الوجه الخاص في تدرج الإنسان من عبادة قوى الطبيعة إلى التوحيد، وذلك في الجزيرة العربية قبل الإسلام، والوثنية حتى التوحيد

٣- الإنسان في تاريخ البشرية كان موحداً مسلماً، وما خالف البحث ما قد جاء في الحديث الصحيح والقرآن الكريم [٩١] .

٤- استمر التوحيد من عهد سيدنا آدم إلى سيدنا نوح عليهما السلام، ومن ثم بدأ مفهوم الشرك، فأرسل الله سيدنا نوح عليه السلام ليعيد مفهوم التوحيد [٩٢].

٥- أثبتت الأبحاث اللغوية والتاريخية أن التوحيد هو الأصل، والشرك هو الطارئ.

٦- شهدت الجزيرة العربية العديد من الدعوات التوحيدية أهمها دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام فهي من أقدم الدعوات التوحيدية في الجزيرة العربية بل إنها أصل الدين الحنيف.

٧- ندرة التوحيد في جنوب الجزيرة العربية في النقوش المتوافرة لدينا لوجود التوحيد هناك ولكن ظهر الإله في نقوش ممالك الجنوب مما دل على عبادة رب السماء، فقد وجدت الديانات السماوية اليهودية والمسيحية[٩٣] في جنوب الجزيرة العربية.

٨- أما في شمال الجزيرة العربية فوجدنا نقوشاً دلت على الإيمان بالله وحده في الشعر الجاهلي وهو ما أكد وجود التوحيد ، بل هناك من أنكر عبادة الأصنام في قول عمرو بن لحي :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة ... شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدًا ... فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفن بأن الله في مهلٍ ... سيصطفي دونكم للبيت حجابا

فقد نجح في إخماد أصوات الاحتجاج بما كان لديه من سلطة سياسية وعسكرية واقتصادية وهناك الكثير من صور المؤرخين الذين تحدثوا عن التوحيد في شمال الجزيرة .

٩- الابتعاد عن استخدام مفردة (تطور) عندما درسنا الدين والفكر الديني، وذلك بتطور مفهوم عبادة قوى الطبيعة والوثنية حتى التوحيد، مما أوحي أن الشرك الأصل والتوحيد الطارئ وتطور الإنسان من الشرك إلى التوحيد.

١٠- دراسة الفكر الديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام يجب أن تكون في البداية من التوحيد، وعلى الرغم من عدم وجود معلومات متوافرة لمفهوم التطور الديني في الجزيرة العربية بدءاً من القرن الرابع الميلادي تحت تأثير الديانتين اليهودية والمسيحية، وأخبرنا القرآن الكريم والحديث الشريف ،أن الأصل في الدين التوحيد بالله بشهادة الرسل الأسبقين ومن ثم دخلت الوثنية والشرك على الجزيرة العربية وانتشر العديد من العبادات والانحراف في الفكر الديني، الذي كان عبارة عن انتكاسات متعددة [٩٤] .

الهوامش:

١ – أبو المنذر هشام بن محمد السائب ابن الكلبي ، الأصنام ، (أبو ظبي ، ٢٠٠٤ ، ص٥٥ . أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، المنفق في أخبار قريش ، (ط، عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٥ م) ، ص٤٢.

٢ – حسين بن السيد احمد البراق ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، (ط٣ ، القاهرة ، ١٩٢٤) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (القاهرة ، دار الشعاع ، ٢٠٠٤ م) ، ج١١ ، ص٣٤.

٣ – صالح العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، (مطابع مؤسسة دار الكتب العلمية ، ١٩٨١) ، ص٥٠ .

٤ – عبد العزيز الدوري ، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (دار الرشيد ، ١٩٨٨) ، ص ٩٨ .

٥ – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المحيط ، (بيروت ، دار لسان العرب ، د. ت) ، مادة ((دين)) .

٦ – سورة الصافات ((اية رقم ٥٣)) .

٧ – ابن عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي، حديث رقم (٤٥٩)) ، ص ٢١٩ .

٨ – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، (الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) ، ص ٦٠ .

٩ – مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر ، (المثبتة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩) ، ص ٣٧٠ .

١٠ – إبراهيم بن محمد بن دقمان ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، (منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، د. ت) ، ص ١٢٢ .

١١ – أبو إسعاف إبراهيم الأصطخري ، المسالك والممالك ، وضع هوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، (ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨) ، ص ١٣١ .

١٢ – جيمس فريزر ، الغصن الذهبي ، (الهيئة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١) ، ص ٢٦٣ .

١٣ – أبو العباس احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (دار بيروت ، بيروت ، د.ت)، ص ٧٠ .
١٤ – عبد الوهاب المسيري ، رحلتي الفكرية،(دارالشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٩) ، ص١٠– ٢٣ .
١٥ – جيمس فريزر ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .
١٦ – ثريا المنقوش ، التوحيد في تطوره التاريخي،(دار الطليعة ، بيروت،١٩٧٧)، ص ١٠ .
١٧ – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط٤ ، القاهرة ، د. ت) ، ص ٩٣ .
١٨ – سورة الكافرون ، ((اية رقم ٦)) .
١٩ – سورة النساء ، ((اية رقم ١٧١)) .
٢٠ – ابن حبيب،مختلف القبائل ومؤتلفها،تحقيق حمد الجاسر،(ط ١،دار اليمامة، الرياض ، د. ت) ، ص ٣٢ .
٢١ – أبو الحسن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، وضع فهارسه صلاح الدين المنجد ، (مكتبة النهضة المصرية ، د. ت) ، ص ٥٤ .
٢٢ – عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٣) ، ص ١٢٥ .
٢٣ – ارنولد توني ، تاريخ البشرية ، (الاهلية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٥) ، ص ١٢٥ .
٢٤ – جواد علي ، المرجع السابق ، ج ، ص ١٨ .
٢٥ – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ابو بكر البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (مكتبة دار الباز ، مكة ، ١٩٩٤) ، ص ٩٠ .
٢٦ – أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز البكري ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤) ، ص ٦٥ .
٢٧ – ابن منظور ، المصدر السابق ، مادة ((طور)) .
٢٨ – سورة نوح ، ((آية رقم ١٤)) .
٢٩ – فاطمة باخشوين ، الحياة الدينية في الحجاز قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الملك سعود ، ١٩٩٣) ، ص ١٧ .
٣٠ – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (القاهرة ، دار الشعاع ،٢٠٠٤) .
٣١ – أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق جمال عطية، (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨) ، ص ٢١٠ .
٣٢ – محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي ، (دار الفكر ، د.ت)،ص ٤٥ .
٣٣ – المصدر نفسه .
٣٤ – سورة الأنعام ((اية رقم ٧٩)) .

٣٥ – فهد العتيبي ، الميسر في تاريخ هداة البشر، (دار الزهراء ، الرياض ،٢٠٠٩)،ص٥٣ .
٣٦ – سورة إبراهيم ، ((اية رقم ٣٥)) .
٣٧ – سورة الأعراف ، ((اية رقم ١٧٢)) .
٣٨ – فاطمة باخشوين ، الحياة الدينية في ممالك معين ، مكتبة الملك فهد ،٢٠٠٢) ، ص ٧٧ .
٣٩ – سورة الاعراف ، ((اية رقم ١٧٢)) .
٤٠ – أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، كتاب الفتوح،(ط١، دار الندوة ،٩٦٨) ، ص ٧٦ .
٤١ – عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧) ، ص ١٠ .
٤٢ – عبد الكريم الخطيب ، قضية الالوهية ، (بيروت ، دار الفكر) ، ص ٢٠ .
٤٣ – يحيى لطفي ، العرب في العصور القديمة، (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩) ، ص٣٧٩.
٤٤ – عباس محمود العقاد ، المرجع السابق ، ص ٨
٤٥ – المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .
٤٦ – محمد بن عبد الله الازرقي ، أخبار مكة وما جاء في الآثار، تحقيق رشدي الصالح محسن، (ط ٢ ، مطابع مكة المكرمة ، ١٩٦٥) ، ص ٥٦ .
٤٧ – إبراهيم العقاد ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .
٤٨ – فليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان ، (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ١٢٧ .
٤٩ – رشيد الناضوري ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني،(دار النهضة العربية،بيروت،د.ت)ص٥١ .
٥٠ – فاطمة باخشوين ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .
٥١ – يحيى لطفي ، المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .
٥٢ – أبو المجد اسعد بن ابراهيم الشيباني الأربلي الأنساب،(دار الكتب المصرية،القاهرة ، ١٣٥٦)،ص ٢٣٥ .
٥٣ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٨٥ . أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٤) ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .
٥٤ – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦٧ . أبو علي محمد بن أحمد بن سعيد الأندلسي بن حزم ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٤٩١ . جواد علي ، المرجع السابق،ج ١٢، ص ١٦٥.بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص ٢٨٠ .
٥٥ – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تلبيس إبليس ، (ط ١، دار الفكر، بيروت ، ٢٠٠١) ، ص ٦٨ . جواد علي ، المفصل ، ج ١٢ ، ص ٢٧٨.
٥٦ – سورة الحج ، ((اية ٣١)) .
٥٧ – محمود عرفه ، العرب قبل الإسلام ، (عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٥) ، ص ٢٠٥ .
٥٨ – محمد الفيومي ، القلق الإنساني ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة) ، ص ٣٩١ .

٥٩ – عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد عبد الكريم الشيباني، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ١٢٢ .

٦٠ – إسمهان الجرو ، الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة ،(مجلة ابحاث اليرموك) مج ١٤ ، ع ١ ، ص ٢٢٠ .

٦١ – فليب حتي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

٦٢ – عماد الصباغ ، الأحناف ، (دار الحصاد ، دمشق ، ١٩٩٨) ، ص ١٧ .

٦٣ – المرجع نفسه .

٦٤ – سورة الأنبياء ، ((اية رقم ٤٢)) .

٦٥ – سورة الزخرف ، ((اية رقم ٤٥)) .

٦٦ – سورة الإسراء ، ((اية رقم ١١٠)) .

٦٧ – رشيد الناضوري،المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني،(دار النهضة العربية،بيروت،د.ت)،ص٥٧ .

٦٨ – إسمهان الجرو ، الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج ١٤ ، ع ١ ، ص ٢٢٤ .

٦٩ – محمد بن إسحاق ، أخبار مكة ، (دار نضر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ) ، ص ١٩١ .

٧٠ – إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ، (بين الأفكار الدولية ، مصر) ، ص ١٦٨ .

٧١ – محمد مهران ، دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب،(دار المعارف،الأسكندرية ، د. ت)، ص ١٢٥ .

٧٢ – سورة البقرة ، ((اية رقم ١٢٧)) .

٧٣ – فاطمة باخشوين ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

٧٤ – سورة العنكبوت ، ((اية رقم ٦١)) .

٧٥ – أبو عبد الله نجم الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في خبر العباد ، (مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، ٢٠١٥) ، ص ٢٢٤ .

٧٦ – جواد علي ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

٧٧ – إسمهان الجرو ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

٧٨ – ابن حبيب ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ . أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (ط ١ ، دار الأندلس ، ١٩٦٥) ، ج ١ ، ص ٧٨ .

٧٩ – سورة النساء ، ((اية رقم ١٢٥)) .

٨٠ – عماد الصباغ ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

٨١ – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،جامع البيان في تأويل القرآن،مطبعة الاستقامة،د. ت،ج٦،ص ٥٤ .

٨٢ – فليب حتي ، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام ، (بغداد ،١٩٧٧) ، ص٩٠ .

٨٣ – محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني،الملل والنحل،(مكتبة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٨٦) ، ص ٢٥١ .

٨٤ – ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .
٨٥ – ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ص١٣ .
٨٦ – عماد الصباغ ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .
٨٧ – محمود خطاب ، الحياة العربية في العصر الجاهلي،(ط٥، دارالقلم، بيروت ،ص٩٨) .
٨٨ – أحمد محمد الحوفي ، تاريخ العرب المطول ، ترجمة ادورد للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨)،ص ٦٥ .
٨٩ – المرجع نفسه ، ص ٣٢ .
٩٠ – ابن حبيب ، المصدر السابق ، ص ٤٢ . ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
٩١ – لويس ماستون ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ،١٩٦٧) ، ص٣٢١ .
٩٢ – عبدالجبار ناجي،الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، (منشورات جامعة ، ١٩٩١) ، ص ١٣٧ .
٩٣ – جواد علي ، المرجع السابق ، ج ١٥ ، ص ١١١ .
٩٤ – أحمد بن خالد الناصري ، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية ، (مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦) ، ص٣٤٣ .

المصادر والمراجع:

أ – المصادر الأولية :

أبو إسحق إبراهيم بن محمد الأصطخري (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .
١ – المسالك والممالك ، وضع هوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، (ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨) ، ص ١٣١ .
الإعرابي : أبو عبد الله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م)
٢ – الفتوح ، (ط ١ ، دار الندوة ، ١٩٦٨) .
الأزرقي ، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٩ م) .
٣ – أخبار مكة وما جاء في الآثار ، تحقيق رشدي الصالح محسن ، (ط ٢ ، مطابع المكرمة ، ١٩٦٥) .
ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
٤ – الكامل في التاريخ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨) .
٥ – الأنساب ، (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٦) .
محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ / ٧٦٨ م)
٦ – أخبار مكة ، (دار خضر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ) .
البلاذري : أبو الحسن يحيى بن جابر (ت ٢٨٩هـ / ٨٩٢ م) .
٧ – فتوح البلدان ، وضع فهارسه صلاح الدين المنجد، (مكتبة النهضة المصرية ، د. ت) .
البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م)
٨ – سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (مكتبة دار الباز، مكة ،١٩٩٤) .

البكري، أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م) .
٩ – مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤) .
١٠ – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق جمال عطية ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٨) .
البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م)
١١ – التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، (دار الفكر ، د. ت) .
الترمذي ، أبو عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٣ م)
١٢ – سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، د. ت) .
ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ / ٨٥٩ م)
١٣ – المنمق في أخبار قريش ، (ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ م)
١٤ – مختلف القبائل ومؤتلفها ، تحقيق حمد الجاسر، (ط ١، دار اليمامة، الرياض ، د. ت) .
ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣ م)
١٥ – جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط ٤ ، القاهرة ، د. ت) .
ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)
١٦ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (دار بيروت ، بيروت ، د. ت) .
ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧ هـ)
١٧ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣) .
١٨ – تلبيس إبليس ، (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠١) .
ابن دقمان ، إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧ م)
١٩ – الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، (منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، د. ت) .
الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٢٠ – العبرفي خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، (الكتب العلمية، بيروت، د.ت) .
الشيباني ، مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد (ت ٦٠٦هـ)
٢١ – النهاية في غريب الحديث والأثر ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩) .
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م)
٢٢ – الملل والنحل ، (مكتبة الجلين ، القهرة ، ١٩٨٦) .
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) .
٢٣ – جامع البيان في تأويل القرآن ، (مطبعة الاستقامة ، د. ت) .
ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م) .

٢٤ – زاد المعاد في خير العباد ، (مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، ٢٠١٥) .
ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩ م)
٢٥ – الأصنام ، (أبو ظبي ، ٢٠٠٤) .
ابن كثير ، أبو الفدا عماد إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣ م)
٢٦ – البداية والنهاية ، (بيت الأفكار الدولية ، مصر ، د. ت) .
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، (٧١١هـ / ١٣١١ م) .
٢٧ – لسان العرب المحيط ، (بيروت ، لسان العرب ، د. ت) .
المسعودي ، أبو الحسن بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ١٠٤٣ م)
٢٨ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (ط١ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٥) .
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٧٩٨ م) .
٢٩ – تاريخ اليعقوبي ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٤) .

ب – المراجع الحديثة :

بروكلمان
١ – تاريخ الشعوب الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٦٨) .
البراق ، حسين بن السيد أحمد
٢ – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، (ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٢٤) .
باخشوين ، فاطمة
٣ – الحياة الدينية في ممالك معين ، (مكتبة الملك فهد ، ٢٠٠٢)
٤ – الحياة الدينية في الحجاز قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(جامعة الملك مسعود،١٩٩٣)
توني ، أرنولد
٥ – تاريخ البشرية ، (الأهلية للنشر، بيروت ، ١٩٨٥) .
حتي ، فليب
٦ – تاريخ سورية ولبنان، (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠)
٧ – العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام ، (بغداد ، ١٩٧٧) .
الحوفي ، أحمد
٨ – تاريخ العرب المطول ، ترجمة أدورد ، (بيروت ، ١٩٨٨) .
الخطيب ، عبد الكريم
٩ – قضية الألوهية ، (بيروت ، دار الفكر)
الجرو ، إسمهان
١٠ – الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة ،(مجلة أبحاث اليرموك) ، مج ١٤، ع ١ ، ص٢٢٠ .

خطاب ، محمود
١١ – الحياة العربية في العصر الجاهلي ، (ط ٥ ، دار القلم ، بيروت)
الدوري ، عبد العزيز
١٢ – بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (دار الرشيد ، ١٩٨٨) .
علي ، جواد
١٣ – المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (القاهرة ، دار الشعاع ، ٢٠٠٤) .
العلي ، صالح
١٤ – محاضرات في تاريخ العرب ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٨١) .
العقاد ، ابراهيم
١٥ – أبو الأنبياء، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧) .
عرفه ، محمود
١٦ – العرب قبل الإسلام ، (عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٥) .
الفيومي ، محمد
١٧ – القلق الإنساني ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة) .
الميسري ، عبد الوهاب
١٨ – رحلتي الفكرية، (دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٩)
المنقوش ، ثريا
١٩ – التوحيد في تطوره التاريخي، (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٧) .
مهران ، محمد
٢٠ – دراسات تاريخية من القرآن في بلاد العرب، (دار المعارف ، الأسكندرية ، د. ت).
ماسنيون، لويس
٢١ – مكة والحيرة وصلتهما بالقبائل العربية، (ترجمة ، يحيى الجبوري ، ١٩٦٧).
ناجي، عبد الجبار
٢٢ – الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، (منشورات الجامعة ، ١٩٩١).
الناصري، أحمد بن خالد
٢٣ – دراسات في تاريخ المدن الإسلامية، (مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦).
الناظوري، رشيد
٢٤ – المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، (دار النهضة العربية ، بيروت ، د. ت).